مشروعات ما بعد الحرب

كلمة الدكتور سيد كريم فى افتتاح المؤتمر الهندسى الأول

ما أشبه اليوم بالأمس — الأمس البعيد القريب .

البعيد لبعده عنا ، فقد طوى عليه التاريخ صفحات ثلاثة آلاف عام ، والقريب لدورة عجلة الزمن ، التى دارت بالتاريخ ليعيد نفسه و ينعقد مؤتمرنا الهندسى الثانى بعد مرور تلك القرون الثلاثين على المؤتمر الأول ، ذلك المؤتمر التاريخى الذى عقده الملك " أخناتون " من رجال العلوم والفنون . لقد أثمر المؤتمر الأول ثمرته فوقام التاريخ حقبه حينما كلل عصره بوصفه " العصر الذهبى " كما اتفق على تسميته جميع المؤرخين .

أثمر ثمرته فكان له الفضل فى تلك النهضة التى ظهرت فى جميع مرافق الحياة ، وذلك التطور فى مختلف الفنون والعلوم : فى الرسم والنحت ، فى العمارة والانشاء فى العمران وتخطيط المدن ، فى الموسيقى والأدب . . . فى العقيدة وحرية الفكر .

فمبادىء " السوريالزم " و " الفوتورزم " فى فنون النحت والتصوير ترجع الى ذلك العصر ، وكثير من نظريات التحرر فى العمارة والإنشاء وتخطيط المدن وجدت لها مرجعا فيما خلفته تلك النهضة من آثار . وها هو ذا مؤتمرنا الهندسى الثانى ينعقد فى ظروف كثيرة الشبه بظروف المؤتمر الأول ، فكلاهما انعقد للتعمير بعد التدمير ، وللاستقرار بعد الحروب ، وجلس على عرش وادى النيل فى كليهما ملك شاب . وها مؤتمر اليوم الا ثمرة من ثمرات كلمة الفاروق الخالدة التى وجهها الى شباب الوادى عندما اعتلى عرشه .

ان كان عندنا ما نقدمه على منضدة البحث فى مؤتمر اليوم ، فهو ذلك النداء الذى تجاوب فى العالم صداه . . . ولم تشغله مطالب الحرب وويلاتها عن التفكير فيه والتمهيد له . . . ذلك العالم الذى اتسم بطابع السرعة — فى الحركة والتطور والفكر والتنفيذ . . ذلك النداء ما سموه " بمشاريع ما بعد الحرب " .

فعلى الرغم من أن الحرب لم تنته بعد ، الا أن كثيرا من الدول قد انتهت فعلا من بحث مشاريع ما بعد الحرب ، ووضع برامجها واعدادها للتنفيذ ، فماذا أعددنا نحن من مشاريع وكان عندنا من الوقت متسع أكثر من غيرنا ، لقد أخذ الغرب حضارته من الشرق ، وأخذ مكانه من قافلة التطور ، لأنه استمر فى الحركة . فلنتحرك مع العالم ، ولتكن خطواتنا معه ، فالحركة هى التى توحى بالحياة ، والحياة هى التى تكتب صفحات التاريخ .

إذا ألقينا نظرة سريعة على ما قمنا به قبل الحرب من مشروعات فى جميع مرافقنا الحيوية الجديدة وما خرج منها الى حيز الوجود ، وجدنا أن معظمها لم يثمر ثمرته المرجوة لتخبطها المستمر بين التعديل والتبديل ، أو للتعجل فى تنفيذها قبل استيفاء دراستها حتى تتفق مع مطالبنا وظروفنا من اجتماعية واقتصادية ، أو قبل وضع برامجها التنفيذية كاملة ، كما أنه لم يكن للمهندس رأى فى معظمها ، ورأى فى تنظيم البرنامج نفسه الذى هو أعظم أهمية من رسومات المشروع وتفاصيله الهندسية أو الزخرفية .

ان مشاريعنا الاصلاحية بصفة عامة ينقصها أهم ركن من أركان النجاح ، وهو ضمان الاستمرار وتتابع التنفيذ ، والتى يعبر عنها هندسيا "بشبكة البرنامج المقفلة" ، فأى مشروع إصلاحى كان أو عمرانى قبل أن يخرج الى طور التنفيذ يجب أن ينضج من حيث علاقة الاستهلاك بالانتاج . والاستهلاك هنا هو ما يستنزف من مجهودات ومصاريف ، والانتاج هو ما نحصل عليه من نتائج عملية فعالة ، وهو ما لا يتأتى الا اذا وضع المشروع على شكل شبكة فاكية مرتبطة الدورة والحركة ، أو نعمل على السيطرة التامة على القطر بأكمله قبل أن نضع أساس أى حجرة من حجرات المبنى يجب أن ننتهى أولا من تصميم المبنى بأكمله .

فاذا رجعنا إلى ما قامت به أية دولة من الدول التى قفزت فى بضع سنوات قفزة من جمودها لتحتل مكانها بين كبريات الدول التى احتلت الصدارة فى قيادة العالم الحديث ونهضته ، نجد أن الفضل فى ذلك راجع الى مشاريعها الكبرى التى عرفت كيف تنظم خطوات تتابعها فتجنى ثمارها كاملة . . وتحدد ميعاد الحصاد . وهو ما أسموه بمشاريع السنوات الأربع أو الخمس تبعا لعدد السنوات التى وزع عليها تنفيذ البرنامج بأكمله ، أو مجموعة ثابتة من خطواته .

ستختلف مشاريع ما بعد الحرب عندنا عن مثيلاتها فى بقية الأمم التى نريد أن نقتدى بها فى وضع برامج مشاريعنا الأصلاحية والحيوية فيما يلى :

١ — فى المرافق التى تأخرت عن قافلة المدنية بعدة أجيال ستحتاج إلى خطوتين من المشروعات : الخطوة الأولى وتسمى بمشروعات الانتقال ، أى الانتقال من الجمود إلى الحياة ، أى دفع الأمة فى طريق الحركة . والخطوة الثانية دفعها فى طريق النموذجية ، كما هو الحال فى مشروع فترة الانتقال ، يجب أن يسبق القرية النموذجية ، وجامعة القرية يجب أن تخط قبل المدرسة المثالية .

٢ — فى المشروعات المرتبطة المرافق سنجد أنه من الضرورى لإمكان تحقيقها عمليا واقتصاديا الالتجاء إلى البرامج التعاونية أو المندمجة ، أى ضم عدة مشاريع فى شبكة واحدة حتى يكون الاصلاح متكافئا فى جميع النواحى اقتصادا فى المصاريف والحركة الادارية والمجهودات اللازمة كالتأمين الصحى ، والتقاق والزراعى ، والتعاون الاقتصادى والاجتماعى للقرى والتى يمكن السيرها متكاتفة تحت سقف واحدة كمشروع جامعة القرية .

٣ — السير بالمشاريع الاقتصادية الانتاجية "ذات الرصيد الدائن" متوازية مع المشاريع الاصلاحية " ذات الرصيد المدين " فضعف الاولى سيشل حركة الثانية ، فمشاريع إصلاح القرية مثلا يجب أن تسير متوازية مع مشاريع التحول الزراعى إلى الصناعى الزراعى ، ومشروعات التعمير والمواصلات يجب أن تسير متوازية مع مشروعات استغلال الثروة المعدنية والقوى الكهربائية حتى نضمن التوازن الاقتصادى اللازم لاستمرار التنفيذ ، وتسدد أحدهما دين الاخر .

٤ — الاستقلال بالمشروعات الكبرى وفصلها عن أداة الروتين الحكومى ، فيجب أن يكون هناك مثلا هيئة خاصة تستقل ببرنامج التأمين الصحى وإنشاء المستشفيات من حيث وضع المشروع وتصمياته وتتبع خطوات تنفيذه حتى ينحصر البحث والمسؤولية ، فتضم الهيئة جميع المختصين من رجال العلم والبحث والادارة والفن والاقتصاد على منضدة واحدة يوضع عليها المشروع ، فنضمن استمرار دورة شبكته الفلكيـة ويبقى بعيدا عن المؤتمرات السياسية والدوافع الحزبية فلا تتغير عواملها .

والآن ماهى "مشروعاتنا لما بعد الحرب" ، تلك المشروعات التى نحن مطالبون بوضع نواتها فى مؤتمر البوم ، والتى يجب أن نتكاتف على وضعها فى مقدمة أبحاثنا الجامعية ، ومشاريعنا الهندسية ، وأبحاثنا العامة والخاصة ، ونفرغ من وضع شبكة كل منها المتقفلة قبل نهاية الحرب حتى يودى مؤتمرنا رسالته المرجوة كاملة .

كلما تردد اسم "مشاريع ما بعد الحرب" فى الأفق ، قفز فى المقدمة مشروع " التعمير بعد التدمير" تعمير المدن التى وطأتها أقدام "مارس" آله الحرب ، تلك الأقدام التى أبت ألا أن تدك معالم العمران فى كثير من مدن العالم المتمدين ، أما عندنا فقد سلمت مدننا الكبيرة من أقدامه ، ولكن للأسف نالها من أقدام الزمن أكثر مما نال غيرها من أقدام "مارس" نالها من تخريب السلم أكثر مما نال غيرها من تدمير الحرب .

فليكن أول مشاريع التعمير عندنا إذا هدية المؤتمر إلى الفاروق تلك الهدية التى سيطالب كل معارى من أعضاء المؤتمر بالمساهمة فيها وهى : " قاهرة الفاروق " .

فكما خلد التاريخ اسم قاهرة "عمرو" وقاهرة المعز "صلاح الدين" وقاهرة "محمد على" وقاهرة " اسماعيل " ، وكان كل منها رمزا لتحول عمرانى ، وتطور تخطيطى وإنشائى ، سارت به عاصمة الشرق مع خطوات التطور وقادت قافلة المدنيـة ، يجب أن تكون أول قرارات المؤتمر وضع مشروع "قاهرة الفاروق" ، نريد " قاهرة الفاروق" بتخطيطها المدنى الذى يعبر عن العصر الحديث وحيويته ، بشوارعها وميادينها التى تساير حركته وطرق مواصلاته ووسائل نقله ، بميادينها العامة ومنشآت حضارتها التى تمثـل احتياجاتها وتخفق بروحه ، بعمارتها وطابعها الذى يجاوب ضربات نبضه ، بعوامل امتدادها واتجاهات العمارها التى تسبق بها عجلة التطور فلا تتعثر بها ، بمعالم حضارتها التى ستكتب تاريخ حاضرها وتمهد لمستقبلها .

يجب أن نقفز بها أوسع خطوة فى تاريخها العمرانى لنلحق القافلة التى كنا نقودها فى الماضى ، ذلك الماضى الذى استهوانا سحره فعشنا فيه و بقيت أقدامنا مشدودة اليه ، وصحونا لنجد القافلة قد سارت وعلينا أن نلحقها .

يجب أن تدب الحركة والحياة فى أحيائها الوطنية التى بدأت تتحول معظمها إلى مقابر للأحياء، إننا وجدنا مسؤولون عن وضع مشروع عمرانى كامل يوضع له برنامج تنفيذى واقتصادى يخرجه إلى حيز الوجود فى سنوات محدودة ، فعند ما تحتفل القاهرة بعيدها الألفى نجد معالم حضارة ومدنية عصرنا ممثلة أصدق التمثيل بجانب كل عصر من عصورها التاريخية .

سنجد أنفسنا مضطرين فى هذه الحالة إلى مطالبة الحكومة بالتعجل فى إخراج مشروع بلدية القاهرة إلى حيز الوجود ... تلك البلدية التى ستحمل رسالة التنفيذ بعد ما نضع بين ايدينا خلاصة أبحاثنا .

لما كانت جلسة اليوم لا تتسع لسرد مشاريعنا الكبرى ، أو مشاريع ما بعد الحرب مفصلة مع بيان كيفية معالجة كل منها من جميع نواحيه ، ووضع مسقط شبكته وخطوات دورتها ، وهو ما كنت أود أن تتاح لى فرصة شرح بعضها ، لذا سأكتفى الآن بتقديم ملخص سريع لتلك المشاريع التى قمت ببحث بعضها ولازلت أعالج بعضها الآخر ، وسأقدمها مفصلة ضمن أبحاث المؤتمر :

١ — بعد وضع "قاهرة الفاروق" فى رأس القائمة يأتى محو الأمية، وهو أول مشروع يجب أن ينال اهتمام الشرق بأجمعه، و يشمل برنامج جامعة القرية الذى يجمع بين الانتقال والتطور وادماج عدة نواح من مرافق الاصلاح فى إطار واحد .

٢ — تعمير المدن وتنسيقها، وهو برنامج رغم ضخامته، إلا أنه لو كرس كل عضو من أعضاء جمعيات المهندسين جزءا من عمله لوضع مشروع تخطيطى لإصلاح مدينة مسقط رأسه الذى سيفخر بأنه كان له الفضل فى تقديم يد التنسيق والعمران اليها، لوجدنا فى النهاية مرجعا شاملا لتعمير القطر بأكمله يمكن الرجوع اليه فى ضبط خطوات التطور العمرانى .

٣ — البناء بعد الحرب ، فالمدينة هى البناء، وتاريخ حضارة الأمة هو ما تخلفه من مبان، فالانتقال من المواد الطبيعية إلى الصناعية ، ومن الصناعة اليدوية إلى الآلية، ومن الطرز التقليدية إلى العالمية مع اتزان خطوات التطور، هى رسالة المعمارى للعمارة بعد الحرب .

٤ — الفيلا أو السكن الخاص : واطار مصيره ومدى احتكاكه بالانتاج الصناعى الواسع المدى ، وعلاقته باقتصاديات المجتمع واحتياجاته الجديدة والتطور الاجتماعى .

٥ — التحول الصناعى ، أو الصناعى الزراعى : ومقتضياته العمرانية والانشائية وعلاقة منشآته بكل من الخامات وتوزيعها، والقوى المحركة ومصادرها، مع ما يتطلبه ذلك التحول من نشأة المناطق الصناعية، ومدن العمال واثرها فى القرية وتطورها العمرانى .

٦ — شبكة العلاج : وتوزيع المستشفيات وارتباط الوحدات الثابتة المتنقلة وارتباط البرنامج الإنشائى بتغيير حجم الوحدات مع خطوات التنفيذ

٧ — التأمين الصحى ، وتكوين جيل المستقبل : الوحدات الصحية الشعبية وتوزيعها بين الأحياء وأنواعها والمنشآت الصحية والحمامات العامة وحمامات السباحة ، والصحة المدرسية ورعاية الطفل ، وتكون فى مجموعها برنامج وقائى علاجى يسير متوازيا مع شبكة العلاج ومكملا لها .

٨ — الرياضة الشعبية : وأثرها فى تكوين الشعوب ثقافيا وصحيا وخلقيا واجتماعيا وقوميا و برنامج توزيعها على القطر بأجمعه وتنظيم برامجها الانشائية والادارية .

٩ — الثقافة العامة : وانشاء المكتبات الشعبية والقروية ووسائل نشر الثقافة عن طريقه المطبوعات الشعبية والسينما والاذاعة وستشمل برنامجا معماريا وانشائيا واسع النطاق يسير متوازيا مع خطوات محو الأمية .

١٠ — الأحياء الفقيرة : بين التعمير والتدمير — تطهيرها من أمراضها وانقاذها من الانحلال و برنامج هدمها واعادة بنائها .

١١ — التعليم بعد الحرب : واصلاح برامج الثقافة المعمارية ومدد دراستها الجامعية والعلمية والصناعية والتطبيقية — حتى تؤدى كل منها رسالتها الثقافية كاملة و باخلاص لتحمل شعلة تاريخ الأمة المعمارى الحديث .

١٢ — المساكن الجامعية : ودور الطلبة سواء فى المناطق الجامعية أو فى مناطق السياحة فى أنحاء القطر حتى يجد الطالب بيتا أينما حل يشجعه على كثرة التنقل و يجد فيها الطالب الأجنبى مضيفة تدعوه إلى زيارة مصر والاتصال بطلبتها .

١٣ — شبكة الانتقال و برنامج انشاء الطرق : التى هى بمثابة الشرايين التى يتدفق فيها دم الاصلاح إلى المدن الصغيرة ومنها إلى القرى ، فالمدن الكبيرة سارت مع العصر لأن المسافة بينها و بين أوربا وأمريكا أصبحت أقرب منها بينها و بين القرى المجهولة .

١٤ — طرق المواصلات ووسائل النقل : وأثرها فى التخطيط المدنى وانشاء الطرق والمطارات والمنشآت اللازمة لها ، فمصر ستصبح بحكم مركزها محطة التقاء جميع الخطوط العالمية .

١٥ — استصلاح الأراضى : الصحراء قابلة للتحويل إلى غابات بريها بماء البحر المالح والجزء الأكبر من الصحراء الكبرى اذا غمر بالماء تحول الوادى الى منطقة للامطار والأراضى البور لازالت تغطى من المساحة مسطحا ، ولهذا التحول وذلك الاستصلاح برامج معمارى انشائى واسع النطاق .

١٦ — السياحة وتنظيم مناطقها : فعندنا من المناطق ما يمكننا أن ننافس بها كبريات مناطق السياحة العالمية المشهورة سواء ما كان منها للصيف أو لاستشفاء أو الرياضة أو الصيد —

عندنا سواحل البحر الأبيض والأحمر وشواطئ البحيرات والجبال والواحات وعيون الاستشفاء والآثار مما لو أحسنا استغلالها ووضعنا لها برنامجا إنشائيا وعمرانيا منظما لأصبحت مصر قبلة السياحة فى العالم أجمع .

١٧ — نهر النيل : الذى يعد من أجمل أنهر العالم ، يجب إعداد برنامج كامل لتجميل شواطئه وتنسيقها والاستفادة منها حتى يأتى اليوم الذى يتغنى العالم بجماله كما خلد الدانوب والفولجا والراين فى ألحانه .

١٨ — آثارنا المصرية : وبرنامج المحافظة عليها ، لقد زينت بها عواصم بعض الدول الغربيـة ميادينها وتركناها نحن ملقاة فى الوديان او مقفلة فى المخازن ، فالثابتة منها ستدخل ضمن برنامج هدم الأحياء الفقيرة وإعادة تنظيمها ، والمنقولة منها سنجد لها مكانا فى قاهرة الفاروق ومدن الغد .

تلك هى مشروعات ما بعد الحرب التى يجب أن تكون ضمن قرارات مؤتمر اليوم ، والتى يجب أن ننتهى من بحثها ودراستها قبل أن تنتهى الحرب ، فنقدم فى المؤتمر التالى ثمرة ما قمنا به من أبحاث ، وما نكون قد أتممناه من مشروعات .

دكتور سيد كريم

"وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا".
(قرآن كريم)

يوم العاجزين غد . (شاعر) .